إثنولوجية اغتراب شخصية ميديا في تراجيدية يوربيديس

سه ردار محمود سعيد

معهد التدريب والتنمية التربوية في السليمانية، العلوم الانسانية، التربية الفنية، السليمانية،ا قليم كردستان - عيراق.

البريد الألكتروني : sardarmahmud72@gmail.com

ملخص:

تناول البحث دور الاغتراب في دفع شخصية ميديا بطلة مسرحية ميديا لمؤلفها يوربيديس نحو ارتكاب فعل التراجيديا عن وعي وسبق إصرار محققة للمؤلف نوعاً من التراجيديا مغايراً عن النمط السائد في عصره، ورأى الباحث بأن السبب في إقدام ميديا على قتل ولديها هو أن اغترابها ذو طابع اثني دافِعه هو الشعور بالقهر والتهميش، لذا عنون بحثه كالآتي: اثنولوجية اغتراب شخصية ميديا في تراجيدية يوربيديس.

وصاغ الباحث مشكلة البحث في سؤال : ما أثر الاختلاف الاثني في دفع شخصية ميديا إلى قتل ولديها في تراجيدية يوربيديس؟

ويتكون البحث من أربعة فصول، أولها مخصص لمنهجية البحث المكونة من مشكلة البحث و أهميته و أهدافه وحدوده ومصطلحاته. والفصل الثاني هو فصل الاطار النظري وعنوانه: شخصية ميديا إسماً ومسمى لدى قدامى الاغريق، ويناقش في ثلاثة مباحث العناوين الآتية: المبحث الأول : ميديا في الميثولوجيا الاغريقية، المبحث الثاني : ميديا في تاريخ هيرودوت. المبحث الثالث : صورة الآريين القدماء لدى قدماء الاغريق، وعالجها في ثلاثة مقاصد : المقصد الاول / المتحضر والبربري في نظر الاغريق، المقصد الثاني : الخلط بين الميديين والفرس، المقصد الثالث : انعكاس الصورة في التراجيديا. وتضمن الفصل الثاني أيضاً فقرة الدراسات السابقة والتي تناول فيها دراسة تلامس موضوع البحث، وبين فيها الباحث وجه الاختلاف بين الدراستين. كما تضمن مؤشرات الاطار النظري التي لخصها في نقاط لكي يستند إليها في تحليل عينة البحث في الفصل الثالث وهو فصل إجراءات البحث والذي يستهله بتبيان مجتمع البحث وعينته وطريقته (وهي طريقة المنهج التحليلي الوصفي)، وكذلك أداته، قبل البدء بتحليل العينة.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

الفصل الرابع مخصص لنتائج البحث واستنتاجاته مدرجة في نقاط وكانت مستجيبة لمشكلة البحث

الكلمات الدالة: الاغتراب، يوربيديس، شخصية.

الفصل الأول – منهجية البحث

مشكلة البحث/

تقتبس التراجيديا الاغريقية غالبية مواضيعها وأبطالها الدراميين من الميثولوجيا في سياق تأكيدها على الثيولوجيا السائدة والمُشدّدة على قدرة الآلهة وحتمية القدر، لكنها في الوقت ذاته " تحافظ على المسافة التي تفصلها عن أساطير الابطال التي تستقي منها والتي تنقلها بتصرف كبير. إنها تضع تلك الاساطير موضع البحث. فهي تقابل مابين القيم البطولية والتصورات الدينية القديمة وبين أشكال الفكر الجديدة التي رافقت ظهور القانون في إطار المدينة" (فرنان و ناكيه، 1999، ص16).

وبلغ هذا (التصرف) أشده على يد (يوربيديس) ثالث أعمدة التراجيديا الاغريقية الذي عُرف بتحديثه للحرفة وتمرده عن تقاليدها "فلم يتمسك بها إلا إذا لم يستطع غيرها ولو أن جميع غرائزه كانت تميل نحو الوجهة الاخرى، فكان مستقلاً في الدين والفلسفة والسياسة والفن، لاتؤثر عليه الميول الوراثية " (يوربيديس، 1984، ص7)

وجسّد يوربيديس هذا التمرد في معظم تراجيدياته التي نجت من التلف والضياع، وخصوصاً في مسرحية (ميديا) التي يرى الباحث بأن يوربيديس اتخذ من الاغتراب وسيلة لتحقيق الفعل التراجيدي فيها، لكن نوع هذا الاغتراب مختلف عن الأنواع المألوفة في علمي النفس والاقتصاد، فهو اغتراب مبني على أساس الاختلاف الإثني مما حدى بالباحث أن يتخذه مشكلة لبحثه ويصوغها في السؤال الآتي :

ما أثر الاختلاف الاثني في دفع شخصية ميديا إلى قتل ولديها في تراجيدية يوربيديس؟

أهمية البحث والحاجة إليه:

تكمن أهمية البحث في سعيه للكشف عن دور الصراعات الاثنية في العالم القديم، خصوصاً بين قارتي آسيا وأوروبا، في خلق الفعل التراجيدي واقعياً وفنياً، سيما مايتعلق منها بأسلاف الشعب الكُردي مجسدة في الميديين والتصور الأوروبي المجسد في فكر قدامى الاغريق آنذاك، وتأثير تلك الصراعات على المستقبل السياسي لمناطق غرب آسيا عموماً. وبهذا يُفيد البحث :

1- المختصين بالأدب الدرامي وخصوصاً التراجيديا الاغريقية والنقاد والمسرحيين بشكل عام.
2- المهتمين بالميثولوجيا والتاريخ والاثنولوجيا وعلاقاتها ببعضها وتأثيرها على الفن المسرحي منذ القدم.
3- الباحثين والمهتمين بالكوردولوجيا وتاريخ كردستان والحضارات القديمة.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

أهداف البحث

ويهدف البحث إلى إثبات وجهة نظر الباحث حول مشكلة البحث والتوصل إلى نتيجة نظرية علمية مقنعة حول حقيقة حصول إغتراب إثنولوجي في عينة البحث.

حدود البحث/

الحد الزماني هو : عام 431 قبل الميلاد، والمكاني : مدينة كورنثة، والموضوعي: التراجيديا الاغريقية

مصطلحات البحث

1- الاغتراب

يعادل مفهوم (Alienation) لدى هيغل والذي يدل بمعناه الحرفي "على كون المرء اصبح غريباً" (برا، 1993، ص5) فيرى هيغل بأن الانسان يشعر بالاغتراب "اذا وقف نتاجه ضده ولم يحقق ذاته ولم يتبين فيه نفسه بل وجد نفسه غريبة فانه يتغرب ويتشيأ ويفقد ذاته".(مجاهد، 1997، ص 37.)

يعتبره روجيه غارودي بأنه هو "إزدواج الانسان الذي خلق رموزاً ومؤسسات ولم يعد يتعرف عليها كنتاج لنشاطه فأصبح يعتبرها مستقلة عن انسانيته وصعبة المنال" (سعيد، 2004، ص38) فالشعور بالاغتراب هو " حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريباً وبعيداً عن واقعه الاجتماعي". (كيرزويل، 1985، ص264)

والاغتراب يخلق حالة اجتماعية وثقافية تسمى (الغرائبية) والتي يرى (ستيفن فوستر) بأنها تعمل "كنظام رمزي يدجن الأجنبي المختلف ثقافيا وغير العادي ويضع حدوداً لاستيعابه، فهو لاينفيه ولايقبل به (كواحد منا)، ولكنه يبقي على المسافة التي (تفصلنا عنه وتفصله عنا) بدعوى الحفاظ على التنوع" (هيلين وجميلة. 2010،ص15)

ويتفق الباحث مع تعريف (ستيفن فوستر) ويعتبره تعريفاً إجرائياً له لهذا المصطلح.

2- الاثنولوجيا

في نظر (تولرا وفارنييه) "تعني الدراسة العلمية للمجتمعات الاخرى" (تولرا و فارنييه، 2004، ص7). ويعتبرها (مارسيل غريول) بأنها "الفرع المعرفي الذي يحيط بنشاطات الشعوب المادية والروحية ويدرس تقنياتها وأديانها وشرائعها ومؤسساتها السياسية والاقتصادية وفنونها ولغاتها وأعرافها" (لومبار، 1997، ص13). ويعرفها داروين على أنها عبارة عن دراسة "بقايا أوصاف الحلقات الوسطى التي تربط بين الحضارات، مركزا على ثلاثة عناصر فيها : الموروث، الوصف، الوصل، فيلخصها في القول بأنها : إنتاج الزمان الذي قطعته الحضارات في أشواط تحولها" (داروين، د.ت، ص ص 515، 612). ويرى آرنولد هاوزربأنها " التمازج الحضاري الذي يعبر عن تغيير حاسم فيه، بأسلوب جديد" (هاوزر. د.ت، ص41). وجاء في معجم الأساطير بأنها "أندماج الثقافات بعضها ببعض من خلال هجرة الأقوام والتشابه في بعض

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

الأساطير لمختلف الشعوب التي تسكن في مناطق متباعدة، حتى وأن كانت الطبيعة الانسانية هي بالأساس واحدة، والتشابه في التعابير العاطفية وردود الفعل نحو الظواهر الطبيعية يمكن أن يكون متزامنا" (الخوري، 1990، ص5).وتعرَّف بأنها" تناحر الحضارات وانقراض بعضها، واندماج بعضها الآخر، وما يطرأ عليها من تحولات ومن تغيير، وصولاً إلى انتاج شكل مختلف" (ويرلايت، د.ت، ص113).

وطالما أنها "بمثابة دراسة عامة وشاملة للشعوب" (حمداوي، http://www.almothaqaf.com) فيمكن القول – إجرائياً إن الاثنولوجيا : هي علم دراسة الشعوب وأصولها وأعراقها واندماجها فيما بينها ممثلة بشخصياتها الاسطورية والتاريخية.

3- الشخصية

أنحدرت كلمة الشخصية (Personality) الانكليزية و(Personalite) الفرنسية من الكلمة اللاتينية Persona ومعناها قناع يستعمل على خشبة المسرح. (فالادون.1993، ص5)

يعرفها (جيمس دريفر) على أنها عبارة عن "التنظيم الدينامي المتكامل لخصائص الفرد الفيزيقة والعقلية والخلقية والاجتماعية كما يعبر عن نفسه أمام الآخرين في مظاهر الأخذ والعطاء في الحياة الاجتماعية" (فرج وآخرون، د.ت،ص238) و يراها (فرويد) على أنها"مكان نفسي داخلي يتكون ديناميا حسب تاريخ الفرد بممارسة بعض الوظائف الاساسية بالنسبة له"(فالادون، م.س، ص 86) معتمداً في تحليل تركيبتها النفسية على " الأمور الجنسية، وعهد الطفولة، والكبت" (عقل. 1979، ص 185) ويقول فيها (جوردن ألبورت) : "إنها التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الاجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد سلوكه وفكره المميزين"(فرج وآخرون، د.ت، ص238) ويعرِّف (مارتن هيدغر) الشخصية على أنها " الوجود الخاص للشخص الانساني، يتميز .... بالقدرة على قول أنا ، وبإمكانياته وبحريته في أن يخلق مستقبله الخاص".(فالادون، م.س، ص110)

يرى (كولن ولسون-) بأن الشخصية الانسانية تبدو "وكأنها مؤلفة من قطع تركيبية" (ولسون.1995، ص228) ويعرفها (أ.فيكسليارد) من حيث بنيتها العلائقية على أنها " بنية نشيطة موحدة وكاملة تحقق وحدة نسبية وتواصلاً مع الزمن لمجموع الاجهزة التي تأخذ في الاعتبار خصوصيات كل فرد، طريقته في الشعور والتفكير والفعل ورد الفعل في المواقف المحسوسة" (فالادون، م.س، ص 6).

ويعتبر الباحث هذا التعريف وافياً لأنه يشمل اكثر جوانب ومكونات تركيبة الشخصية، لذا يتخذه تعريفاً اجرائياً له لهذا المصطلح.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

الفصل الثاني – الإطار النظري

شخصية ميديا إسماً ومسمى لدى قدامى الاغريق

المبحث الاول / مرموزات أسطورة ميديا في الميثولوجيا الاغريقية

تحمل أسطورة ميديا، من حيث بنيتها و تلاحق أحداثها، مرموزات حضارية من شأنها أن ترشد الباحث في الموروث الأدائي للمجتمعات ماقبل التاريخية وجذورها كمجال للراسة الاثنولوجية.

والمعلوم أن أسطورة ميديا، وهي أسطورة إغريقية، ترتبط بأسطورتين تسبقانها من حيث ترتيب وتسلسل الاحداث:

الأولى / اسطورة الصوف الذهبي (الجزة الذهبية) التي خصت بها الميثولوجيا الاغريقية مملكة كولخيس (قلقيزيا) القوقازية (الجزء الغربي من دولة جورجيا الحالية).

والثانية / أسطورة (رحلة الأرغو)، وهي رحلة إغريقية تستهدف مملكة كولخيس ذاتها وترمي إلى سلب ثروة معنوية لمنطقة القوقاز - الأوراسية.

وتمهد الاسطورتان الأخريان لظهور شخصية (ميديا) كأسم علم لأميرة شابة نصف إلهية هي حفيدة (هيليوس) إله الشمس وخادمة إلهة السحر والشعوذة (هيكاتي).

تحمل هذه الاسطورة مرموزات إثنية تختزل في مجملها علاقة خفية بين الحضارات الأوراسية و الميديين وغيرهم من أسلاف الشعب الكُردي، وتتلخص تلك المرموزات في الآتي :

1 - الجزة الذهبية والتي تعتبر ثروة وطنية لمملكة كولخيس.

2 - إله الشمس.

3 - رحلة الأرغونوت باعتبارها مناورة عسكرية غربية تجاه الشرق بسفينة تقول الاسطورة أنها كانت الاكثر ضخامة وتطوراً لحينه، وينجز الرحلة برفقة مجموعة من ابطال الميثولوجيا الاغريقة بينهم هيراكليس. (سلامة، 1988، ص ص : 146-150).

4 - مكان حفظ الجزة الذهبية وأسلوب حمايتها بواسطة تنين لاينام أبداً، مما يجعل رحلة البحث والعثور عليها محفوفة بمخاطر اسطورية جمة.

5 - المراهنات التي يجريها ياسون مع ملك كولخيس ويفوز بها جميعها بسبب مساعدة ميديا له، للفوز بالجزة الذهبية، بعد أن وعدها في أول لقاء بينهما بأن يأخذها معه إلى بلاده ويتزوجها ويجعلها ملكة له ولشعبه.

6 - خيانة ميديا لأبيها الملك ووطنها طمعاً وراء الفوز بقلب ياسون ومغرياته لها وقتلها لأخيها ورمي جثته في البحر لكي ينشغل بها والدها الملك فيتمكن ياسون وطاقمه من الهرب وهي ترافقهم.(سلامة، 1988، ص ص : 150-159)

7 - اعتماد ميديا الدائم على السحر والشعوذة للوصول إلى مرامها ومبتغيات زوجها.

8 - هروب ميديا من وطنها أولا ومن ثيساليا برفقة زوجا ومن ثم هروبها من كورنثة بعد قتلها ملك تلك البلاد وإبنته الوحيدة التي تستعد للزواج من ياسون وكذلك قتلها لوالديها إنتقاما من زوجها، تضفي على شخصية ميديا صفة عدم الاستقرار وعدم التلائم مع المكان بشكل عام. لكن هذه الرحلة للهروب الدائم من المكان تنتهي بالعودة إلى ديارها الأصلية كولخيس برفقة إبنها ميدوس أو التوجه إلى

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

بلاد ميديا التي تقول الاسطورة بأنها سميت إما على إسمها أو على إسم إبنها والذي أنجبته إما من الملك أوجيوس أو كما يقول هيسود بأن جيسون أنجبه وشيرون هو الذي قام بتربيته, وتعتبر بعض الروايات الدارجة من الاسطورة إبنها ميدوس سلفاً للشعب الميدي وإسمهم. (https://ar.wikipedia.org/wiki)

وكان والد ميديا آيتيس هو الملك السابق لكولخيس، وحكم برسيس شقيق آيتيس بعد وفاته، وتقول بعض الروايات بأنه هو الذي قتله. سجن بيرس حفيد أخيه وإبن ميديا وهو ميدوس لحماية عرشه من أي مطالبين محتملين به. ولتحريره انتحلت ميديا شخصية كاهنة وطلبت الملك بإعطائه لها للتضحية به استرضاءاً للآلهة، حيث كان الطاعون في ذلك الوقت يفتك بالمملكة، فوافق بيرس لكنه هو الذي قتل في الأخير إما على يد ميدوس أو والدته، وتقول رواية مختلفة بأنه بعد أن جاء ميدوس للحكم غزا أرضاً مجاورة سميت لاحقاً بـ(ميديا) على شرفه هو أو والدته.(https://en.wikipedia.org/wiki/Medus)

المبحث الثاني / ميديا في تاريخ هيرودوت

يبين (هيرودوت) بأن هوميروس و هيسود، اللذين عاشا قبله بنحو أربعة قرون كما يعتقد، " كانا أول من بحث في أصل الآلهة وسلالاتها، ووصفها للاغريق، وحددا مراتبها وخبرا عن أعمالها " (هيرودوت، 2002، ص158) مايبرهن حسابياً على أن أقدم المدونات، والتي تمحورت شعراً حول الميثولوجيا والملاحم الاغريقية، تعود إلى نهايات النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد.

وعليه فأن الميثولوجيا الاغريقية حول شخصية ميديا لم يتم تدوينها إلا قبل تسعة قرون من ميلاد المسيح، مما يتعارض تأريخياً مع ما يزعمه (هيرودوت) نفسه على لسان الميديين حول أن أبناء ذلك الشعب قد استبدلوا إسمهم من الآريين إلى الإسم الذي عُرفوا به " بعد زيارة ميديا القلقيزية لبلدهم، وكانت قد قدمت إليهم من أثينا". (هيرودوت، 2002، ص 516)، ويكمن ذلك التعارض في الآتي:

1- إن إسم الميديين وبلادهم ميديا، كان راسخاً ومعروفاً في غرب آسيا قبل ذلك بقرنين على الأقل من استقرار الصيغة النهائية للإسم (ميديا)، إذ يُرَجَّح قدوم الميديين إلى كردستان، وهم من مكونات الجيل الثالث لأسلاف الكُرد، في القرن الحادي عشر (ق.م) (الخليل، 2013، ص39).

2- تشير دراسات حديثة إلى جذور أعمق لأصل كلمة (ميديا)، إذ يبين (صلوات كولياموف)، خلال تناوله لصوتيات اللغة الكردية وتأثيرها على اللغات الموغلة في القدم بأن لهذه الكلمة جذر عميق في اللغة الأكادية فيقول : "بات معروفاً لدى الجميع أن الميديين هم أجداد الكرد، ولكن ورد ذكرهم بإسم (h) emmy manda ، أسرة أجداد مانو – في كتابات نارام – سين، حيث بلغوا بقواتهم الأكادية الكوتيين – أمان ماندا تماماً في النصف الثاني للألف الثالث قبل الميلاد، وعلى أثرها قتل زعيمهم هنري دافازير في 2200 قبل الميلاد " (كولياموف، 2011، ص171). ويذهب (هارفي بورتر) إلى أن عراقة ميديا في كردستان هي " أمر لاريب فيه، فإنها ذكرت في سفر التكوين، وفي تأريخ بيروسُس المؤرخ الكلداني، فذكر موسى ماداي بين بني يافث، فحسبه جد أمة الماديين، فثبت أنها كانت في أيامه، وذكر بيروسس إستيلاء دولة مادية على أرض الكلدانيين في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد، ولنا غير ذلك أمارات في تقاليد اليونانتشير إلى امتداد أمة الماديين في قديم الزمان، فلنا من ذلك إنه وجدت أمة من نسل ماداي قبل القرن العشرين قبل الميلاد، ثم توارت ودرست آثارها." (الخليل، 2011، ص ص: 27-28).

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

3- إن هيرودوت نفسه يعتبر(الفرس) بأنهم (أخبرالناس بالتاريخ) وينقل عنهم العزم بأن الفينيقيين كانوا هم المبادرين بالنزاع بين آسيا وأوروبا القديمتين، وأن الاغريق يوافقونهم الرأي في ذلك، لأن بحارة فينيقين اختطفوا الأميرة (آيو) إبنة (إيناكوس) ملك مملكة (آرجوس) إلى مصر، وبعد فترة رد على ذلك رجال أغريقيون من جزيرة كريت باختطاف إبنة الملك الفينيقي (أوروبا)، ولم يكتفوا أو يرتضوا بذلك كانتقام إذ توجه بعض رجالهم بعد حين على ظهر سفينة ألى مدينة (ليا) إحدى مدن مملكة (كولخيس – الجزء الغربي من جمهورية جورجيا الحالية) وبعد الانتهاء من أعمالهم قاموا بنقل الأميرة – نصف الإلهة (ميديا) إبنة الملك الكولخي (آييتس) وحفيدة إله الشمس (هيليوس) إلى بلاد الاغريق ولما طلب والدها الملك إعادة الفتاة إلى ديارها رفض الاغريق متحججين بأن تعويضهم السابق عن اختطاف الاميرة (آيو) لم يف بالغرض لذا سيعتبرون خطف (ميديا) تعويضاً مناسباً، ومن ثم استمرت وتيرة الخلاف بين القارتين بالتصاعد. وبعد فترة، وعندما خطف الأمير (باريس) إبن ملك طروادة (بريام) الملكة الحسناء (هيلين) ملكة أسبرطة، وزوجة (منيلاوس) شقيق (أجاممنون ابن أتريوس)، وطالبه الاغريق بإعادتها إلى زوجها ومملكتها الاغريقية وتعويضهم عن الاذى الذي لحق بهم جراء ذلك رد عليهم بالرفض متسائلاً: بأي وجه يطلب الاغريق القصاص وهم الذين رفضوا قبل ذلك إعادة الأميرة (ميديا) إلى والدها وبلدها بعد الاعتداء عليها بالخطف، وكان هذا التطور هو السبب المباشر لاندلاع حرب طروادة التي استمرت عشرة أعوام وشارك فيها أشهر أبطال الميثولوجيا الاغريقية وانتهت بانتصار الاغريق وتدمير طروادة. (هيرودوت، 2002، ص ص 29 – 30)

4- تؤكد أسطورة رحلة الأرغونوت التي يقودها ياسون بأن البطل الأسطوري هيراكليس – هرقل كان من أفراد طاقم الرحلة، وعليه يمكن الاستدلال برواية أخرى يسردها هيرودوت لتقدير الفترة الزمنية التي عاش فيها هيراكليس ومن خلاله تقدير العصر الذي خاض فيه الأرغونوت رحلتهم إلى مملكة كولخيس لجلب الجزة الذهبية ومن خلاله تقدير العصر الذي عاشت وبرزت فيه ميديا وأسطورتها.

ورواية هيرودوت تدور حول تحشيدات عسكرية إغريقية لصد حملة الملك الفارسي أحشوبريش ضد بلاد الاغريق، فيخص بالذكر قائداً يدعى (ليونيداس الاسبارطي)، لكن الملفت إن هيرودوت يُرجع نسل هذا القائد بعشرين نسباً إلى هيراكليس ذاكراً أسماء جميع أجداده (هيرودوت، 2002، ص568)، مما يدل على أن الفاصل الزمني بين حملة أحشوبريش على بلاد الاغريق من جهة و أسطورتي الآرغو وميديا من جهة ثانية هو عمر شجرة نسب مباشرة متلاحقة لأجداد (ليونيداس الاسبرطي) العشرين وآخرهم هيراكليس.

وإذا تم تقدير فارق السن بين كل إبن و والده من هؤلاء بعشرين سنة كمعدل، وهذا ما يعتبره الباحث منطقياً بالنظر إلى أن سن الزواج في الحضارات القديمة كان مبكراً بشكل عام لحاجة مجتمعاتها إلى زيادة الولد والعدد، فأن أقصى مدة متوقعة لعمر هذه السلالة من هراكليس إلى ليونيداس الاسبرطي سيكون أربعمئة عاماً، وبما أن حملة أحشوبريش – خشيارشا على الاغريق والتي هزم فيها جيش ليونيداس الاسبرطي في واقعة ثيرموبيلاي كانت في عام 483 (ق.م)، إذاً فأن وقوع أحداث أسطورة رحلة الآرغونوت و رحيل ميديا عن كولخيس يعودان إلى قرابة القرن التاسع (ق.م) مما يتعارض مع فكرة أن تكون الأسطورتان المذكورتان أقدم من حرب طروادة بحسبما يلمح إليه هيرودوت في ذكره لأسباب نشوب الخلاف بين قارتي آسيا وأفريقيا.

5- إن أسطورة ميديا هي ميثولوجية إغريقية وليست جورجية، بل أن شخصية ميديا التي تعتبر " أول شخصية جورجية معروفة في التاريخ القديم، وترتبط ارتباطًا وثيقًا بماضي جورجيا، لكن في الوقت نفسه باتت عقدة حضارية للجورجيين تستحق أن تسمى بـ(عقدة ميديا) على أرض الواقع، وذلك بسبب الجرائم البشعة التي ألصقتها بها تراجيدية يوربيديس من قتل الأخ والأبناء بشكل خاص، ما حدا

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

بالمسرحيين الجورجيين إلى إهمال تراجيدية يوربيديس وعدم التجرؤ على إخراجها للمسرح حتى ستينيات القرن الماضي". (Nadareishvili, 2007,Phasis 10 (II), , pdf)

يصنف العالم الالماني (بلومنباخ) مؤسس علم الانثروبولوجيا الطبيعية، يصنف الكُرد - ضمن (الجماعة السلالية القوقازية)، فضلاً عن أن رأس الحد الشمالي لكردستان منذ القدم هو جبل (آرارات - ئاكري) الواقع على تخوم القوقاز (الخليل، 2013، ص ص : 22، 42) الجنوبية مروراً بخط جنوب جبال شوشا العصية (لازاريف، 2016، ص19) بل أن صوتيات اللغة الميدية تؤكد بأنها "ملاصقة للغات مثل لغة آفيستا ومن ثم السكدية والخوارزمية – لغات شعوب آسيا الوسطى القديمة والسيكفية – اللغة القديمة للشعوب القاطنة على أراضي أوكرانيا وشمال القوقاز" (كولياموف، 2011، 384) ناهيك عن أن الكورد، أحفاد الميديين كانوا " أول من قاموا بتربية الاغنام، وفي هذا الاطار جاءت الاسطورة اليونانية عن الارغونات التي سافرت بحثاً عن الصوف الذهبي، أما إسم السفينة (Argo) فيعود إلى Arka – الشمس الفيدات آرية. أما عن مطابقة الكبش والتيس مع الشمس عند الايرانيين – الكورد، فيعبر عنها فن النحت اللوري البرونزي الشهير."(كولياموف، 2011، ص 378)

المبحث الثالث / صورة الآريين القدماء لدى قدامى الاغريق

المقصد الاول : المتحضر والبربري في نظر الاغريق

يصنف الاغريق الشعوب القديمة القريبة منها في أوراسيا وغرب آسيا في خانة الشعوب (البربرية - الهمجية) في مقابل الشعوب الاغريقية (المتحضرة)، وفيما يخص إيران القديمة – بلاد الآريين - فأن هذا الوصف يطلقونه على الفرس أكثر من الميديين، حيث يعتبرون الميديين النموذج الأصل والمرجع بينما الفرس المقلدون والبربر. وفي نظرهم فأن علاقة الأصل والتقليد هذه تشمل حتى الملابس، وبأنه "ليس هناك كالفرس شعب ينزع للأخذ بمناهج من هو غريب عنه، فهم يرتدون أزياء الميديين، مثلاً، لاعتقادهم بأن تلك الازياء أكثر أناقة من أزيائهم " (هيرودوت، 2002، ص96)

ويعتبر (هيرودوت) الفرس - الأعداء التقليديين للاغريق بأنهم "برابرة متخلفون لايملكون من الحضارة إلا النزر اليسير، تسيرهم أهواؤهم وتحكمهم نزواتهم التي في النهاية أودت بهم في مهاوي الهزائم، بل أن معظم ملوك الفرس عنده تغلب عليهم شهواتهم فهم بالتالي خاضعون لها لايستطيعون الفكاك منها. وفي سبيلها يرتكبون الفظائع والجرائم. وقادة الفرس تبع لملوكهم فهم سفاكو دماء قليلو الخبرة والدراية كثيرو النزق والحماقة" (هيرودوت، 2002، ص24) وبأن الفرس"يعتبرون آسيا أرضاً لهم وماحفلت به من قبائل البرابرة من أهلهم وحلفائهم وينظرون إلى أوروبا والاغريق على أنهم غرباء يختلفون عنهم" (هيرودوت، 2002، ص 31) ما يؤكد ضمنياً أن التصور الذي كونه قدامى الاغريق عن الفرس تعمم على جميع الشعوب التي ساندتهم أو شاركتهم، رغبة أم إكراهاً، الحرب ضد الاغريق، الأمر الذي أثر بشكل مباشر على نظرتهم للميديين ولإسم ميديا على وجه الخصوص نظراً إلى أنهم يعتبرون الأقرب إلى الفرس من غيرهم في ذلك بحكم الجغرافيا والسياسة و خصوصاً الواقع العسكري، إذ أن أغلب قادة الجيش الفارسي في الحروب ضد الاغريق كانوا من الميديين إبتداءاً بـ(هارباكوس - هارباك) الوزير السابق لآخر أباطرة ميديا (آستياك) والذي تآمر مع (كورش – الحفيد الفارسي) للامبراطور الميدي ضد

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

الامبراطور المذكور وأطاح به، وكذلك القائد الميدي (داتيس) الذي قاد جيش الفرس في معركة ماراثون الشهيرة. (الخليل، 2011، ص ص : 135، 149)

المقصد الثاني : الخلط بين الميديين والفرس

كثيراً ما يخلط أو يجمع هيرودوت بين الفرس والميديين، ويبدو أن ذلك عائد إلى أن شخصية (ميديا) أرضاً وشعباً كانت طاغية بقوة على إيران القديمة إلى درجة أن الأغريق وغيرهم من الشعوب في آسيا وأوروبا كانوا يعتبرون جميع الشعوب الإيرانية القديمة بأنها ميدية، بما فيها الفرس أنفسهم، حتى بعد مرور عقود من الزمن على سقوط الامبراطورية الميدية وتولي الفرس دفة الحكم محلها، بل أن هيرودوت ينقل هذا الخلط على لسان الاغريق في عصره إذ يروي مثلاً أن رجلين قدما من إسبارطة إلى الملك الفارسي (أحشوبريش - خشيارشاه) خاطباه هكذا : " ياملك الميديين، قد أرسلنا أهل إسبارطة إليكم لتنزلوا بنا عقابكم جزاء قتل رسل الفرس" (هيرودوت، 2002، ص 538)، وأن ملكة شعب (الماساجيتاي) وهم من الشعوب الأفغانية آنذاك، وتدعى (توماييريس) بعثت برسالة إلى الملك الفارسي (كورش) تنصحه بالاقلاع عن فكرة احتلال مملكتها التي كان الأخير يحاصرها، فتخاطبه هكذا : " إلى ملك الميديين [قد بلغنا ما أنت عازم عليه]..." (هيرودوت، 2002، ص 126).

ويعزو الباحث الكردي (د.أحمد محمود الخليل) هذا الخلط إلى "أن شهرة الميديين كانت ذائعة في العالم القديم، وربما قضاؤهم على الامبراطورية الآشورية ، وتحرير غربي آسيا من تسلط حكام آشور القساة، من أبرز الأسباب التي جعلت شهرة الميديين ذائعة" (الخليل، 2011، ص195)

وفي الواقع فأن هذا الخلط يعود إلى أقدم من كتابات هيرودوت، بل إلى ماقبل مولده حتى، إذ أن الاغريق كانوا يسمون الحروب التي دارت بينهم وبين ملوك وجيوش فارس بعد سقوط امبراطورية ميديا، أحياناً، بـ(الحروب الميدية)، وأن (أسخولوس) أول أركان ثالوث الابداع والتجديد في التراجيديا الاغريقية، والذي شارك في تلك الحروب بنفسه يعتبر جيش الملك الفارسي (أحشوبرش) جيشاً ميدياً ، وذلك على لسان رئيسة الكورس في مسرحيته (الفرس) عندما تتحدث لوالدة الملك عن الجيش اليوناني الذي كان يدافع عن أثينا والذي من المفترض أنه قد ألحق الكثير من الأذى بذلك الجيش الميدي. (أسخولوس، 1996،ص ص : 123، 140)

المقصد الثالث : انعكاس الصورة في التراجيديا

تتزامن فترة ازدهار التراجيديا الاغريقية - نهاية القرن السادس (ق.م)- مع حدثين مفصليين في حضارة دولة المدن الاغريقية، أولهما ذاتي التطور في الفكر والأدب ويتجسد في : توقف لغة الاساطير عن التأثير على الواقع السياسي للمدينة (فيرنان وناكيه، 1999، ص5)، وثانيهما موضوعي يرتبط بتصاعد الخلاف بين آسيا متمثلة بالامبراطورية الفارسية التي بنيت على أنقاض الامبراطورية الميدية، وأوروبا متمثلة في بلاد الاغريق. وبلغ هذا الصراع أوجه في الحروب الفارسية الاغريقية.

وفي المسرح يتحد الحدثان من خلال ثالوث شعراء التراجيديا الذين يرتبطون بصيغ مختلفة "بذكرى معركة سلاميس التي تصور النصر العظيم في عام 480 (ق.م) في أثناء الحروب الفارسية، فأيسخولوس حارب بين صفوف المشاة في هذه المعركة وسوفوكليس رقص على رأس مجموعة من الصبية في احتفالات النصر، وأما يوربيديس فقد ولد في جزيرة سلاميس بعينها في نفس اليوم الذي وقعت فيه المعركة". (موري، ص ص 11-12)

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

ومن المنطقي أن ذكريات تلك المعركة وتداعيات مجمل الحروب الفارسية من معارك ماراثون وثيرموبيلاي التي ربما سبقت أو عاصرت فترة حياة شعراء التراجيديا هؤلاء انعكست في نتاجاتهم الفنية سلباً أم إيجاباً وبالتالي على رؤيتهم وتصورهم للشخصية غرب الآسيوية عموماً والايرانية على وجه الخصوص، بل خصصوا نصوصاً لتبيان هذا الانعكاس ومن أبرزها تراجيدية (الفرس) لأيسخولوس و (ميديا) ليوربيديس.

الدراسات السابقة

من بين الدراسات العديدة المنجزة حول تراجيدية ميديا لمؤلفها يوربيديس اعتمد الباحث على دراسة باللغة الانكليزية للباحثة الجورجية (كتيفان ناداريشفيلي Ketevan Nadareishvili) بعنوان (MEDEA IN THE CONTEXT OF MODERN GEORGIAN CULTURE ميديا في سياق الثقافة الجورجية الحديثة)، وذلك لأنها تلامس موضوعة البحث الحالي ومشكلته أكثر من غيرها. وتتناول ناداريشفيلي في تلك الدراسة المعالجات الفنية والادبية التي أجراها كتاب وفنانون جورجيون لتغيير الصورة الهمجية التي أظهر بها يوربيديس شخصية ميديا، والتي تؤكد بأنها – أي تلك الصورة – خلقت عقدة حضارية للشخصية الوطنية الجورجية موداها مفارقة تتكون من متناقضين :

الأول / أن ميديا هي أول شخصية تنسب إلى الجورجيين القدماء من خلال مملكة كولخيس الموغلة في القدم، فتعتبر أول ظهور لهم على مسرح التاريخ مدون في الميثولوجيا الاغريقية.

الثاني / أن ميديا التي تشغل تلك الأهمية لتاريخ جورجيا اصبحت وسيلة لتشويه الشخصية الجورجية بواسطة مسرحية يوربيديس.

وتسعى الباحثة إلى إثبات أن ميديا لم تقتل ولديها بل أن الكورنثيين هم الذين قتلوهما وألصقوا بها التهمة وبأن المدونات الجورجية القديمة لاتحتوي على أي تفسير أدبي لأسطورة الأرغونيين، على الرغم من أن الجورجيين كانوا على دراية بها. (Ketevan Nadareishvili (Phasis 10 (II), 2007 , pdf

لكن ناداريشفيلي لم تتطرق إلى أن "في الصراع التراجيدي يبدو البطل والملك والطاغية ملتزمين تماماً بالتقاليد البطولية والاسطورية، لكن حل الدراما يفلت من أيديهم – وهذا الحل لايقدمه في أي حال من الاحوال البطل الفردي، وإنما يعبر عن انتصار القيم الجماعية التي فرضتها المدينة الديمقراطية الجديدة" (فيرنان وناكيه، 1999، ص5)مما يصيب البطل الفردي بالاغتراب، وفي حالة ميديا فأن السبب الرئيس لهذا الاغتراب القاسي الذي تتعرض له شخصيتها هو الاختلاف الاثني المتجذر فيها والحائل دون قبولها كما هي رغم تضحياتها الكثيرة وحبها واخلاصها، وهذا الاغتراب هو مايسعى البحث إلى كشفه ودراسته ويسميه الباحث بالاغتراب الاثنولوجي.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

مؤشرات الاطار النظري

وتتلخص في الآتي :

1- ترتبط أسطورة ميديا بسلسلة أحداث تاريخية لكن جميعها مدونة من الفكر الاغريقي القديم ولايصح الجزم بصحتها نظراً إلى الخلافات العميقة التي تحولت إلى عداء بين الحضارتين الشرقية والغربية في التاريخ القديم.

2- تتضارب الروايتان الآسيوية القديمة المتمثلة في الفرس والاوروبية القديمة المتمثلة في الاغريق حول وصول شخصية ميديا الاسطورية إلى بلاد الاغريق بين اختطاف وهجرة، لكن أقدم مدونات التاريخ القديم وهو تاريخ هيرودوت يفيد بأن وصولها يأتي في سياق عمليات إنتقامية لخطف الأميرات بين الآسيويين والأوروبيين لذا فمن المنطقي الاعتقاد بأنها خطفت ولم تهجر بلدها بملإ إرادتها وأن هذا الاحساس بالغبن قوّى لديها الرغبة بالانتقام متى كانت الفرصة مؤاتية.

3- تتفق الاسطورة والروايات التاريخية على وجود علاقة إثنية وثقافية بين شخصية الأميرة الكولخية ميديا والشعب الميدي.

4- يرتبط اندلاع حرب طروادة بشخصية ميديا وخطفها من قبل الاغريق ويعزو ملك طروادة خطف الملكة هيلين – السبب المباشر لاندلاع الحرب – إلى دافع الانتقام من عملية خطف ميديا.

5- أثرت الحروب الفارسية على تشويه سمعة الميديين لدى الاغريق وأن تصورهم حول ما اعتبروه همجية في الشخصية الفارسية إلتصق بالميديين أيضاً وانعكست هذه الصورة في التراجيديا الاغريقية، نظراً لكون ثالوث شعراء التراجيديا الاغريق الابرز عاصروا تلك الحروب وشاركوا فيها أو عاشوا تداعياتها عن قريب.

6- هناك تناقض في تاريخ هيرودوت حول العصر الذي عاشت واشتهرت فيه ميديا.

7- حملت صورة ميديا المدونة في التراث الثقافي الاغريقي مفارقة لتاريخ جورجيا القديمة بين الظهور على مسرح التاريخ و تشويه الشخصية الوطنية لشعب ذلك البلد.

8- تشير دراسات حديثة إلى جذور أعمق لأصل كلمة (ميديا) من أول ذكر مدون لأساطير الاغريق، مايبرهن على أن تسمية ميديا كإسم علم لشخص أو كشخصية وطنية هي أقدم من الاسطورة الاغريقية حولها.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

الفصل الثالث - إجراءات البحث

- **مجتمع البحث وعينته**

يتكون مجتمع البحث من نص مسرحية (ميديا) لمؤلفها وشاعر التراجيديا الاغريقية يوربيديس، والتي تشكل عينته الوحيدة ذاتها فهي المقصودة والمستهدفة لأنها الوحيدة من نوعها لتمثيل مجتمع البحث.

- **أداة البحث**

استند الباحث إلى أدوات : الملاحظة والخبرة الميدانية الشخصية في المسرح ومؤشرات الاطار النظري وتحليل المضمون.

- **طريقة البحث**

واعتمد الباحث طريقة المنهج التحليلي الوصفي في تحليل عينة البحث

المتن الحكائي لعينة البحث

تبدأ المسرحية بحوار للمربية تلخص فيها الخلفية الميثولوجية والدرامية التراجيدية للأحداث التي آلت إلى الوضع الراهن الذي تعيشه ميديا بعد قرار زوجها البطل الاسطوري جاسون مغادرتها والزواج من أميرة كورنثة إبنة الملك كريون، ويتلمس القارىء هذا السرد التلخيصي من خلال تمني المربية لو أن تلك الأحداث جميعها لم تقع فلم تؤدِ بسيدتها ميديا إلى الهلاك الذي تعيشه الآن وستجلب بسببه الدمار للبلاط الملكي ولنفسها ولأولادها وزوجها معاً. وتمضي المسرحية نحو تنفيذ ميديا توعداتها وتهديدها بتدمير كل مَن يقفون وراء ما يلحق بها من أذى، فقد قررت أن تقتل حتى ولديها اللذين أنجبتهما من جاسون لكي يلحق بالأخير الأذى في صميم أعماقه فيحرق قلبه عليهما في وقت يأمل، كما يزعم بعد ذلك مبرراً لزوجته قراره بالزواج من أميرة كورنثا، بأن يؤمن لهما مستقبلاً ملكياً. وبعد بضعة مناجاة للنفس ومحاورات مع جوقة نساء كورنثة اللائي يمثلن الضمير الانساني المراقب للاحداث واللائي يؤيدن غضب وسخط ميديا دون أن يشجعنها على تنفيذ ما تنوي من جرائم بشعة، وبعد مواجهة حامية مع جاسون وأخرى دبلوماسية مع الملك كريون الذي يأتي ليبلغها بقراره بنفيها وولديها من المملكة والتماسها منه أولاً بعدم نفي الولدين ومن ثم بإعطائها مهلة قصيرة لتدبير أمورها للرحيل، تواجه زوجها مرة ثانية لكن هذه المرة بشكل مخادع توهمه فيها بأنها قد عدلت عن قرارها وبأن غضبها كان نتيجة غيرة وحسد يصيبان أية إمرأة تنتظر أن يتزوج عليها زوجها من إمرأة أخرى وبأن غضبها قد زال وهي مقتنعة بكلامه هو وستأخذ بنصيحته وتتقبل تلك الزيجة برحابة صدر وكدليل على ذلك تود أن تهدي لعروسه فستاناً لزفافها، وتطلب من ولديهما الحضور لكي يشهدا بأنها قد تصالحت وتراضت مع والدهما، وتناشد زوجها أن يطلب من عروسته إقناع والدها الملك بأن لا ينفي الصبيين لكي يتربيا في عز والدهما بينما ستترك هي هذه الديار على أن يطلب ذلك من الأميرة عندما يحمل إليها الصبيان هدية والدتهما لها. فيصدقها جاسون ويسر أيما سرور لقرارها دون أن يدرك بأن كل ذلك إنما هو خداع وتهدأة للخواطر لكي لاتفسد عليها خطتها للانتقام من الجميع.

وتغتنم ميديا فرصة تواجد ملك أثينا إيجيوس العاقر في زيارة إلى كورنثة فتطلعه على حالها ونيتها بالانتقام من زوجها جاسون وتلتمسه باستقبالها في بلدها حالما تهرب من كورنثة بعد تنفيذ خطتها مقابل أن تساعده هي بفنونها في السحر على أن يخلف وريثاً له لعرشه الملكي، فيتعاقد معها على ذلك شريطة ان تخرج هي بنفسها من البلاد وأن لاتطلب منه مساعدتها في ذلك حفاظاً على ذات البين مع كورنثة وملكها وشعبها.وبعد تدبير جميع الأمور تنفذ خطتها في غفلة زوجها فترش على الفستان الذي سترسله إلى العروس بيد ولديها هي سموماً

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

سحرية تفتك بالعروس حال لمسها وعندما يبلغ كريون بالفاجعة يهرع لانقاذ إبنته من الهلاك فيصاب هو أيضاً ويلقى حتفه فيسرع جاسون ساخطاً متواعداً لميديا من أجل أن يتبين الحال لكنه يصدم بفاجعة أكبر تنتظره إذ قتلت ميديا ولديهما تنفيذاً لخطتها وعندما يحاول الدخول إلى موقع الفاجعة يفاجا بميديا وهي راكبة عربتها السحرية التي أرسله لها جدها هيليوس إله الشمس لكي تهرب بها وهي تأخذ أشلاء طفليهما المقطعة لكي تحرم زوجها حتى من أن يواريهما الثرى.

تحليل عينة البحث

يُلاحَظ من سرد المتن الحكائي بأن المسرحية تشكل الثلث الثاني من أحداث أسطورة ميديا حول هذه الشخصية الاجنبية، وتقع أحداث المسرحية في منتصف أحداث الاسطورة إذ أنها تبدأ من مرحلة إنحدار ميديا من قمة مجدها وجبروتها واعتزازها بقدراتها وثقتها بزوجها وحبه لها إلى هاوية التفكك الأسري وخيانة الزوج وعدم وفائه بوعوده لها وسخطها عليه. فقد لخص يوريبيديس أحداث رحلة الأرغونوت إلى كولخيس وتعرُف ميديا على جاسون ومساعدتها له للحصول على الصوف الذهبي وسرقته والهروب به معاً ومن ثم نجاتهما وبقية طاقم أبطال الأرغو الاغريقيين وعودة جاسون إلى وطنه للظفر بالعرش الملكي والزواج بميديا ومن ثم هروبهما إلى كورنثة وكذلك قرار الزوج بعقد الزواج الثاني مع إبنة كريون ملك تلك البلاد، لخص كل تلك الاحداث من الاسطورة بحوار واحد للمربية تستهل به أحداث المسرحية. كما أن المسرحية لا تتناول الجزء الثالث من الميثولوجيا وهو مابعد رحلة هروب ميديا إلى أثينا وزواجها بالملك إيجيوس وإنجابها لإبنهما ميدوس والأحداث التي تلي ذلك وتؤدي إلى هروبها من هناك أيضاً والتوجه إما إلى بلاد الميديين - كردستان الحالية (كما يزعم هيرودوت وسبقت الاشارة إليه) أو العودة إلى ديارها الأصلية كولخيس (إن كانت هي فعلا بلادها الاصلية كما تقول الاسطورة الاغريقية).

ينقل فرويد عن "أ. رانك" قناعته بأن جميع الشعوب المتمدنة عملت على تعظيم أبطالها في الشعر والاسطورة وهم في الغالب من الملوك والامراء الاسطوريين ومؤسسي الديانات أو من السلالات المالكة، أي أبطالها القوميين، وسبغت على تاريخ ميلاد وحداثة هؤلاء الابطال ملامح خارقة. (فرويد, 1986، ص ص 11-12) لكن يوربيديس لم يفعل ذلك، بل اقتبس من الميثولوجيا الاغريقية أسطورة بطل لشعب آخر، فبطل مسرحيته والتي يعنونها بإسم ذلك البطل، هو أميرة أجنبية بل ومعادية حضارياً لتراث وحضارة شعبه هو بمفاهيم الثقافة الاغريقية آنذاك والتي كانت تعتبر غير الاغريق بأنهم بربر – همجيون – في مقابل الاغريق (المتحضرين)، وإذا كان الحديث عن شخصية البطل الاسطوري الاغريقي – جيسون (ياسون) – فمن جهة هو البطل الثاني في تراجيدية يوربيديس بعد ميديا وليس محور التراجيديا الرئيس، ومن جهة ثانية فهو غير معظَّم بل مُذَل ومعذَّب ومنتقَم منه، وأظهره في مظهر المظلوم المغدور به الذي وقعت عليه، أو ضده، التراجيديا. ومرد ذلك كله هو " إن النوع التراجيدي قد ظهر في نهاية القرن السادس(ق.م) عندما كانت لغة الاساطير قد توقفت عن التأثير على الواقع السياسي للمدينة. وعليه فأن مسرحية مثل (أوديب ملكاً) لسوفوكليس – مثلاً – ليست نسخة من نسخ أخرى لأسطورة أوديب، والبحث لايمكن أن يؤدي لنتيجة إلا إذا ما أخذ بعين الاعتبار معنى ونية الدراما التي قدمت في أثيناحوالي 420 ق.م" (فيرنان وناكيه، 1999، ص ص : 5، 6)

وانطلاقاً من مبدأ – نية الدراما – هذه، يُهم البحث استدراك عدم التزام يوربيديس بتعاليم وأسس الدراما الأرسطية، وفي مقدمتها الصراع الدرامي ففي هذه المسرحية يشب الصراع على أشده داخل صدر شخص واحد، ويظهر الصراع الحقيقي في معظمه داخلياً بين ميديا ونفسها إذ تبدو الروح الانسانية قد انشقت على نفسها ووقعت نهباً لصراع عنيف يدور بينها وبين نفسها (يوريبيديس، 1974، ص

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

ص : 91، 92). ولو أن يوربيديس التزم بتلك التقاليد لكان بوسعه أن يصور ميديا على أنها "أمرأة طيبة تتحول إلى وحش مفزع بسبب ما تلاقيها من إهانات، ولكن يوربيديس قد عمد إلى أن يجعل منها ذلك الشيطان الخالص، قاطعا بهذا التصرف أية صلة يمكن أن تكون بين هذه البطلة وبين البطل الارسطي" (يوريبيديس، 1974، ص ص 94-95)، وقبله البطل الأسطوري. ومن غرائب المفارقة أن أرسطو كان يعتبر يوربيديس " أكثر الشعراء تراجيدية، وذلك على الرغم من أن أرسطو قد عاش في عصر لايعتبر مسرحيات يوربيديس نموذجاً عصرياً" (موري، د.ت، ص3)

ومكمن مفترق الطرق بين مأساة ميديا والمأساة الأرسطية هو أن يوريبيديس لايهدف إلى إثارة الشفقة تجاه ميديا وبالتالي فأنها تظل مجرد مثيرة للخوف والهلع والسخط واللعنة ولاتتحقق فيها معادلة التطهير لأن أحد مرتكزي الطرف الأول للمعادلة (وهو الشفقة) غائب تماماً، إذ أن المعادلة الأرسطية هي :

الخوف + الشفقة = التطهير (من تعريف أرسطو للتراجيديا - أرسطو طاليس، 1973، ص 18)

ومرد ذلك "أن يوريبيديس قد وزع المأساة على الجماعة دون أن يحصرها في الفرد." (يوريبيديس، 1974، ص 103)

يتجسد العنصر التراجيدي لشخصية ميديا في هذه المسرحية " في أنها يجب أن تباد من الوجود توا، فقد قدر عليها أن تظل مصدراً لعذابها ولتعذيب الآخرين، ولهذا جعلها يوريبيديس لاترحل إلا وهي تاركة خلفها الدمار محولاً إياها إلى أداة للدمار يجب أن تباد. (يوريبيديس، 1974، ص ص : 100، 101)

تعترف ميديا، خلال تضرعها من الآلهة للانتقام من زوجها وزوجته الجديدة :

" ميديا : أيتها الربة الجليلة ثيميس، وأنت أيها الزوج (زيوس) هل تشهدان ما أقاسيه وقد ارتبطت بأعظم الإيمان بهذا الزوج الملعون؟ ليتني أراه يوماً مع عروسه وقد تمزقا أشلاء وانهار عليهما القصر بمافيه ركاماً، فلقد تجرآ علي بالإهانة ، أواه يا أبي و وطني يامن هجرتكما موصومة بالخزي والعار بعد أن ذبحت أخي الحبيب" (ص ص 15- 16)[1]

يعكس هذا الحوار علة الاغتراب في شخصية ميديا، إذ أنها كانت تؤمن بحبها وزواجها بـ(أعظم إيمان)، وهي شديدة الغضب على خيانة زوجها لها إلى درجة تكره الحياة برمتها، وبما أنها لاتتقبل الإهانة وهي غريبة عن هذه الديار ومهاجرة من بلاد أخرى تركتها لتلحق بحبيبها ومن أجل ذلك غدرت بأخيها وذبحته دفاعاً عن حبها وإيمانها. والاغتراب نابع من التناقض الذي تعيشه بسبب مفارقة : الوفاء – الاخلاص - التضحية / الجفاء - الخيانة – الصلف. فهي التي كانت سبب جميع التحولات الجذرية في حياة ياسون تجابه الآن عكسياً بماصنعت يداها، وهي ماضية نحو التدمير معنوياً على أقل تقدير، فبينما تعتد هي بنفسها مخاطبة إياها بالقول : " أنت ياسليلة النبلاء، وحفيدة الشمس"(ص29)، يتشمت فيها زوجها بالقول : "أنك أخذت أكثر مما أعطيتني فها أنت تقيمين بأرض هيلاس، وكنت قد نزحت من بلد همجي أجنبي، وها أنت قد تعلمتي العدالة وكيف تعيشين في ظل القوانين، وكيف أن الغلبة ليست للقوة، ولقد عرفك كل اليونانيين بأنك أمرأة حكيمة، وذاعت شهرتك هذه، فلو أنك كنت لاتزالين بأرضك في أقاصي حدود العالم لما كانت لك هذه الشهرة" (ص37)

[1] بما أن جميع المقتبسات العائدة لنص المسرحية مأخوذة من نفس المصدر وهو (يوربيديس، 1974) سيكتفي الباحث بالاشارة إلى رقم صفحة المقتبس .

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

وتؤكد ميديا مناجية نفسها بأن هذا الاغتراب ناجم ليس فقط لمجرد انها غريبة عن هذه البلاد بل وأيضاً لانها مصدومة باختلاف ثقافة التعامل مع الآخر بينها وبين الآخرين وأولهم زوجها، بل والبلاد برمتها والتي باتت تنكر بأنها جاءت إليها بمحض إرادتها وإنما لجأت إليها وهي مختطفة، وسواء هذا الاختطاف كان حقيقياً أم مجازياً ، فقد باتت لاتعتبر لا اليونان ولا موطنها الاصلي وطناً لها :

ميديا (وهي تخاطب الكورس) : " أما أنا فوحيدة ، لاوطن لي، أهانني ذلك الرجل بعد أن اختطفني من بلد غريب لا أم لي ولا أخ، وليس لي أقارب أحتمي بهم في المصيبة التي ألمت بي"(ص20)

"ميديا : لقد أسيئت معاملتي في كل شيء، فهل هناك من ينكر ذلك؟ " (ص27)

ميديا : " يالوطني الحبيب، لكم أتحرق حنيناً وشوقاً إليك الآن" (ص24)

وكأن يوربيديس كان يود أن يشكك في الاختلاط والتزاوج بل حتى المزاوجة الثقافية الاثنية، ويؤكد قبل قرابة خمس وعشرين قرناً مايذهب إليه (لانداو وكاسين) في قناعتهما بأن" أي نوع من المزاوجة هو نموذج لايتسم بالكفاءة اللازمة للتفاعل الانساني" (هيلين وجميلة، 2010، ص14)

ويعمق هذا الاغتراب إحساس ميديا بأنها أصبحت تعامل من زوجها، وهو الشخص الوحيد الذي كان السبب لجميع تضحياتها والنتيجة الراهنة التي تعيشه هي، وفق مبدأ الغرائبية إذ أن "الغرائبية والتدجين والاقصاء والتهميش هي بعض من مفردات القمع التي يتعرض لها الآخر" (هيلين و جميلة، 2010، ص16). وبأنها – أي ميديا ماضية نحو التهميش فعلاً بينما تود أن تحتفظ لنفسها موقع المركز الذي كانت تشغله ولاتزال تستحقه في قرارة نفسها، مجسدة الرأي القائل بأن "الخوف من التهميش يجعل من كل شخص إثنوياً. وربما كان ذلك من واجب كل شخص." (تولرا و فارنييه، 2004، ص20).

ولايكتفي المؤلف بالتعبير عن هذا الاحساس على لسان صاحبه فقط، وإنما يؤكده على لسان الكورس – الجوقة، والمؤلَّف من نساء كورنثا. ومن الملفت في هذا السياق أمران :

1- إن الكورس أساساً يمثل الضمير الجمعي للذي يقترح الباحث تسميته بمجتمع المشكلة التراجيدية لأن الكورس مؤلف من النساء وليس الرجال.

2- أن يوربيديس تعمد ذلك ليجعل المرأة صاحبة القرار والحاكم في قضية ميديا، مما يعكس نظرة يوربيديس الثورية المناصرة للمرأة وحقوقها على حساب المجتمع الرجولي الأبوي هذا من جهة، ومن جهة ثانية يبرهن مشاكسته لتقاليد التراجيديا الأرسطية السائدة آنذاك. وهذه بعض الأدلة على ذلك :

"قائدة الكورس : إنني أسمع نحيبها وصرخاتها الموجعة تستصرخ الآلهة أن تنزل بزوجها الخائن في مضجعه ماقاسته من الوان الظلم والهوان، أنها إذ تجرع مرارة الظلم والإهانة ... " (ص ص : 17- 18)

الكورس يصف ميديا بـ"الكولخية المسكينة" (ص14)

قائدة الكورس : " الحق لك يا ميديا في انتقامك من زوجك" (ص21)

وتعزيزاً لماسبق ينتقد يوربيديس على لسان ميديا وضع المرأة الاغريقية الراضية المرتضية والمكتفية بدورها المحصور داخل أسوار المنزل والذي لايبيح لها سوى القبول بكل ما يأتيها من زوجها وينتقد كذلك التفكير الرجولي البطولي الاغريقي :

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

ميديا : ... أما نحن فمحتم علينا أن تحوم أرواحنا حول شخص واحد نتعلق به، ومع ذلك يقولون عنا : أننا نحيا حياة أمنة خالية من الأخطار داخل البيوت بينما يطعمون هم صدورهم للحراب فيا لغباء تفكيرهم، لكم كنت أتمنى أن أخوض حرباً في جبهة القتال ثلاث مرات، حاملة (أثقل) الدروع – ولخير لي هذا من أن أعاني آلام الولادة مرة واحدة" (ص20)

لكن ميديا تظل على اعتدادها بنفسها وحفاظها على كرامتها وكبريائها فعندما يعرض عليها زوجها مساعدة مالية وتوصيات منه لأصدقائه بإيوائها وتسهيل الحياة اللاحقة عليها وعلى ولديها بعد إصرارها عدم القبول بزواجه الثاني والبقاء في بيتها، ترد عليه ميديا بالقول :

" لعمري لن تجمعني وأصدقائك صلة أو منفعة ولن أقبل منك شيئاً" (ص42)

" ... فلقد كنت تعلم علم اليقين أنك لم تكن صادقاً حين عاهدتني" (ص35)

" فليرجع الناس عن عزمهم إني غبية مستضعفة أو إنني متراخية، فأنا على نقيض ذلك قاسية على الأعداء ، رفيقة بالصحاب، كذا حياة المرء تنال مجداً ذائعاً بمثل هذه الشيم" (ص54)

لكن قسوتها تجتاز جميع الحدود بفعل رغبتها الخارقة بالانتقام من زوجها إلى درجة أنها تضحي بإبنيها وتدفعهما نحو الموت، لكي تجَرِّع زوجها أشد و أمرّ عذاب بموت ولديه الوحيدين وزوجته الجديدة بين يديه.(ص ص 52، 54) محججة ذلك بالقول : " لن أترك ولدي فريسة لأعدائي، الموت حق على رقاب العباد، ومادام قدراً محتوماً، فلسوف أجهز عليهما أنا" (ص 70) فهي تقدِم على أبشع الجرائم عن سبق إصرار : "ميديا : أنني أدرك أي جرم بشع أنا مقدمة عليه، ويل وثبور للبشر، هو الذي تصدر عنه كل قراراتي" (ص 71)

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

الفصل الرابع – النتائج والاستنتاجات

تمخض تحليل عينة البحث عن النتائج الآتية:

1- لم يحسم النص ما إذا كانت ميديا قد اختطفت أم رحلت عن ديارها بمحض إرادتها.

2- لم تؤثر تضحيات ميديا لزوجها قبل وبعد الزواج على تغيير نظرته لها على أنها غريبة وهمجية وهو التصور ذاته الذي يحمله الفكر الاغريقي السائد آنذاك حيال شعوب آسيا وأوراسيا.

3- تعيش ميديا قهراً داخلياً أقسى من قهرها الخارجي وشعوراً بالغاً بالاغتراب حيال كل شيء، مؤكدة بأن سبب ذلك إنما هو اختلافها الاثني عن الاغريق.

4- تعاني ميديا من شعور مهلك بالاقصاء والتهميش، ليس اجتماعياً فقط وإنما سياسياً أيضاً.

5- لم يلتزم المؤلف بتقاليد التراجيديا السائدة في عصره وغيّر في الشكل والمضمون لكن على حساب شخصية البطل، والتي يحرمها من التفاجوء والاصطدام بهول الفاجعة ويجعلها مرتكبة للفعل التراجيدي عن وعي وعن سبق إصرار ليبين من خلال ذلك اختلافها الاثني مع الآخرين.

6- ظهرت ميديا كثائرة على المجتمع الذكوري وسيادة الرجل فتحدت قدريتها وأوقفت النسل البطولي الاغريقي المتمثل بزوجها الطامع في ثروات الشرق والتعامل معها كغنيمة متمثلة بالجزة الذهبية وبشخصها هي.

7- عكس تطور الفعل الدرامي شكوك المؤلف في إمكانية المزاوجة الثقافية بين الاثنيات المتناحرة.

8- ينتقد المؤلف على لسان ميديا وضع المرأة الاغريقية المكتفية بدورها المحصور داخل المنزل والقبول بكل ما يأتيها من زوجها وينتقد كذلك التفكير الرجولي البطولي الاغريقي.

9- حافظت ميديا على اعتدادها بنفسها وكبريائها برفض أي مساعدة من زوجها.

استنتاجات البحث

وفي ضوء نتائج البحث توصل الباحث إلى الاستنتاجات الآتية :

1- تحقق الاغتراب الاثنولوجي في شخصية البطل وأصبح أساً لتحقيق الفعل الدرامي التراجيدي.

2- وقعت التراجيديا بفعل مباشر من البطل و بوعي منه فتعطلت عملية التطهير الدرامي.

3- ساهمت مشاعر القهر والاقصاء والتهميش لدى البطل في خلق الفعل التراجيدي.

4- تحدى البطل القدرية التي يعتبر الاستسلام لها من سمات التراجيديا الاغريقية.

5- شكك النص في إمكانية نجاح المزاوجة الثقافية الاثنية بين الشعوب القديمة المتناحرة.

6- يرسم النص من خلال البطلة علاقة عكسية بين حرية المرأة وقسوتها، فيحث على الأولى ويحذر من الثانية.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

The Alienation Ethnology of Medias Character in Euripides Tragedy

Sardar Mahmud Saeed

Institute of Training and Educational Development in Sulaimani, Humanities - Art Education, Sulaimani, Kurdistan Region, Iraq.

Email : sardarmahmud72@gmail.com

Abstract:

This research dealt with the role of alienation in pushing the character of Euripides Medea towards committing the act of tragedy consciously and the insistence achieved by the author a special type of tragedy that is different from the pattern prevalent in his time .The researcher saw that the reason for killing Medea her two sons is that her alienation is of an ethnic nature motivated by the feeling of oppression and marginalization, so the title of his research is as follows : The Alienation Ethnology of Medias Character in Euripides Tragedy

The researcher formulated the problem of research in this question: What is the impact of the ethnic difference in pushing the character of Medea to kill her two children in Euripides tragedy؟

The research consists of four chapters; 1) research methodology consisting of the research problem, importance, objectives, limits and terminology. 2) theoretical framework entitled: The personality of Medea as a name and the named according to the ancient Greeks, and discusses in three sections: Medea in Greek mythology, Medea in the history of Herodotus, and the image of the ancient Aryans among the ancient Greeks. The second chapter has previous studies, and differences between them. It also includes the theoretical framework indicators. 3) it is research procedures, including the research community, sample, method , tools and the analysis of the sample., and 4) devoted to the results of the research and its conclusions are listed in points and were responsive to the research problem.

Keywords: Alienation, Euripides, Character.

المصادر والمراجع

فرنان،جان بيار ، بير فيدال ناكيه. الاسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة، تر : د. حنان قصاب حسن، دمشق : الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.

يوربيديس. مسرحيات يوربيديس، تر تق أمين سلامة، القاهرة : مكتبة مدبولي، 1984.

برا، جيرار. هيغل والفن، تر منصور القاضي، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشرو التوزيع، 1993،ص5.

مجاهد، عبدالمنعم مجاهد. ابعاد الاغتراب فلسفة الفن الجميل، القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1997.

سعيد ، جلال الدين. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، فلسطين: دارالجنوب للنشر، 2004.

كيرزويل، اديث. عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو ، تر جابر عصفور، سلسلة كتب شهرية رقم (10/9)، بغداد: دار آفاق عربية، 1985.

توماس، هيلين ، جميلة أحمد. الاجساد الثقافية – الاثنوغرافيا والنظرية، تر أسامة الغزولى، القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2010.

تولرا، فيليب لابورت، جان بيار فارنييه. إثنولوجيا أنتروبولوجيا، تر د.مصباح الصمد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004.

لومبار، جاك. مدخل إلى الاثنولوجيا، تر حسن قبيسي، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997،ص13

داروين، تشارلز، أصل الأنواع، تر: إسماعيل مظهر، بيروت: مكتبة النهضة، د.ت.

هاوزر، آرنولد، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ج1، تر: فؤاد زكريا، بيروت: د.ت.

الخوري، لطفي، معجم الأساطير ج1، بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1990.

ويرلايت، فردريش فون، الحكاية الخرافية، تر: عز الدين اسماعيل، بيروت: دار القلم، د.ت.

حمداوي، د.جميل، http://www.almothaqaf.com/a/b6/931857

فالادون، سيمون كلابيه. نظريات الشخصية، ترعلي المصري، بيروت: المؤسسة الجأمعية للدراسات والنشروالتوزيع، ط2، 1993.

طه، د.فرج قادر وآخرون. معجم علم النفس والتحليل النفسي، بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر،د.ت،

عقل، فاخر. مدارس علم النفس، بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1979.

ولسون، كولن. الاستحواذ- رواية، تر غسان رملاوي ، بيروت: دار الحرف العربي ودار المناهل، 1995.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020

سلامة، أمين. الاساطيراليونانية والرومانية،د.مط، 1988.

هيرودوت. تاريخ هيرودوت، تر عبدالإله الملاح، أبوظبي: المجمع الثقافي، 2002.

الخليل، د.أحمد محمود. الشخصية الكوردية، أربيل: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2013.

كولياموف، صلوات. آريا القديمة وكوردستان الأبدية (الكرد من أقدم الشعوب)، تر د.اسماعيل حصاف، أربيل: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2011.

الخليل، د. أحمد محمود. مملكة ميديا، أربيل: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، 2011.

Ketevan Nadareishvili (Tbilisi), MEDEA IN THE CONTEXT OF MODERN GEORGIAN CULTURE, Phasis 10 (II), 2007 , pdf

لازاريف، ميخائيل سيمؤنؤويض. ضةمكةكاني ميَذووي كورد، وةر مةنسور سدقي، 2016.

أسخولوس. تراجيديات أسخولوس، تر تق تع د.عبدالرحمن بدوي، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996.

موري، جلبرت. يوربيديس وعصره، تر تق عبدالمعطي شعراوي، مصر: دار الفكر العربي،د.ت.

أرسطو طاليس. فن الشعر، تر شر تحق عبدالرحمن بدوي، ط2، بيروت: دار الثقافة، 1973.

يوريبيديس. ميديا، تر تق كمال ممدوح حمدي، مصر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.

فرويد، سيغموند. موسى والتوحيد، تر جورج طرابيشي، بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ط4، 1986.

DOI:https://doi.org/10.26750/Vol(7).No(3).paper3 http://journal.uor.edu.krd/index.php/JUR Vol.7. No.3, August.2020